مجموعة سيرة الرسول ﷺ

بإشراف

محمد أحمد برانق

(١٤)

غزوة أحد

الطبعة الثالثة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

لَمْ يَهْدَأْ لِقُرَيْشٍ بَالٌ ، وَلَمْ يَغْمُضْ لَهَا جَفْنٌ ، مُنْذُ غَزْوَةِ بَدْرٍ الَّتِى انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَظَهَرَتْ فِيهَا كَلِمَةُ الْحَقِّ ، وَعَلاَ فِيهَا صَوْتُ الإِسْلامِ مُدَوِّيًا يَتَرَدَّدُ فِى أَنْحَاءِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، فَيَمْلأُ قُلُوبَ مَنْ أَسْلَمُوا رَوْعَةً وَجَلالاً ، وَيَمْلأُ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاليهُودِ رَهْبَةً وَرُعْبًا .

فَقَدْ ظَلَّتْ قُرَيْشٌ تَنُوحُ وَتَبْكِى عَلَى قَتْلاَهَا شَهْرًا ، ثُمَّ كَفَّتْ عَنِ النَّوْحِ ، وَسَكَتَتْ عَنِ الْبُكَاءِ ، فَهَلْ كَانَ كَفُّهَا عَنِ النَّوْحِ صَبْرًا مِنْهَا عَلَى مَا أَصَابَهَا فِى رِجَالِهَا ؟! وَكَانَ سُكُوتُهَا عَنِ الْبُكَاءِ تَسْلِيمًا مِنْهَا بِقَضَاءِ اللهِ فِى أَبْنَائِهَا ؟!

الْحَقُّ ؛ لاَ ، فَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ لِتَسْكُنَ وَلاَ لِتَسْكُتَ عَلَى قَتْلاَهَا ! وَإِنَّمَا كَفَّتْ عَنِ النُّوَاحِ كَاظِمَةً غَيْظَهَا حَتَّى تَثْأَرَ لَهُمْ ، وَسَكَتَتْ عَنِ الْبُكَاءِ كَابِتَةً لَوْعَتَهَا حَتَّى تَنْتَقِمَ مِمَّنْ قَتَلَهُمْ ؛ فَكَأَنَّ جَفَافَ دُمُوعِهِمْ مِنْ حَرِّ النَّارِ الَّتِى كَانَتْ تَأْكُلُ قُلُوبَهُمْ .

فَجَزَّ النِّسَاءُ شُعُورَهُنَّ ، وَنَذَرْنَ أَلاَّ يَتَعَطَّرْنَ وَلاَ يَتَطَيَّبْنَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِثْأْرِ قَتْلاَهُنَّ ، وَتَعَاهَدَ الرِّجَالُ أَنْ لا قُعُودَ لَهُمْ ، وَأَنْ لا رَاحَةَ لِجُنُوبِهِمْ - إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَنْتَقِمُوا لِمَوْتَاهُمْ . وَزَادَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ الَّذِى كَانَ عَلَى عِيرِ التِّجَارَةِ الَّتِى كَانَتْ سَبَبًا فِى بَدْرٍ ، فَنَذَرَ أَلاَّ يَقْرَبَ رَأْسَهُ الْمَاءُ حَتَّى يَغْزُوَ مُحَمَّدًا .

وَهٰكَذَا جَفَّتْ دَمْعَةُ قُرَيْشٍ إِلَى حِينٍ ، وَكَفْكَفَ أَبْنَاؤُهَا عَبَرَاتِهِمْ حَتَّى يَأْخُذُوا بِثْأْرِ آبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ وَصَحْبِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَشَرَعَ أَبْنَاءُ قُرَيْشٍ مِنْ فَوْرِهِمْ فِى إِعْدَادِ عُدَّتِهِمْ لِغَزْوِ مُحَمَّدٍ ، وَأَخَذُوا يَتَأَهَّبُونَ بِمَا يَكْفُلُ لَهُمْ قَضَاءَ هٰذَا الأَمْرِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ لِيَشْفُوا مِنْهُ غِلَّهُمْ ، وَيُطْفِئُوا فِيهِ غَلِيلَهُمْ .

وَعِيرُ التِّجارَةِ الَّتِى عَادَ بِهَا أَبُو سُفْيانَ مِنَ الشَّامِ ، وَكَانَتْ سَبَبًا فِى بَدْرٍ ، قَدْ أُوقِفَتْ فِى دَارِ النَّدْوَةِ لَمْ تُفَضَّ وَلَمْ تُمَسَّ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهَا كُلُّ صَاحِبِ مَالٍ مَالَهُ ، فَاتَّفَقَ رِجَالُ قُرَيْشٍ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ أَصْحَابُ التِّجَارَةِ أَصْلَ مَالِهِمْ ، وَأَنْ تُعْزَلَ الْأَرْبَاحُ لِيُجَهَّزَ بِهَا جَيْشٌ لِغَزْوِ مُحَمَّدٍ .

وَسُرْعَانَ مَا نُفِّذَ هٰذَا الرَّأْىُ ، فَبِيعَتِ التِّجَارَةُ ، وَكَانَتْ ذَاتَ قِيمَةٍ ، فَرُدَّ لِأَصْحَابِهَا رُءُوسُ أَمْوَالِهِمْ ، وَعُزِلَتْ أَرْبَاحُهَا لِيُجَهَّزَ بِهَا الْجَيْشُ الْمَطْلُوبُ .

وَلٰكِنَّ أَبَا سُفْيَانَ الَّذِى فَقَدَ ابْنَهُ فِى مَعْرَكَةِ بَدْرٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَبْرًا حَتَّى تُجَهِّزَ قُرَيْشٌ جَيْشَهَا الَّذِى اعْتَزَمَتْ أَنْ يَكُونَ كَامِلَ الْعُدَّةِ ، مَوْفُورَ الْعَدَدِ ؛ فَخَرَجَ فِى جَمْعٍ مِنْ رِجَالِ مَكَّةَ يَقْصِدُونَ غَزْوَ مُحَمَّدٍ حَتَّى يَتَحَلَّلَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ قَسَمِهِ الَّذِى أَقْسَمَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَلَمَّا أَتَوْا بِأَطْرَافِ الْمَدِينَةِ بِمَكَانٍ يُسَمَّى بِالْعُرَيْضِ وَجَدُوا رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَجِيرًا لَهُ يَشْتَغِلاَنِ فِى زَرْعٍ لَهُمَا ، فَقَتَلُوهُمَا ، وَأَشْعَلُوا النَّارَ فِى بَيْتَيْنِ وَنَخِيلٍ كَانَتْ هُنَاكَ ، ثُمَّ وَلَّوْا هَارِبِينَ عَائِدِينَ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا .

وَمَا إنْ بَلَغَ مُحَمَّدًا مَا حَدَثَ حَتَّى جَدَّ هُوَ وَبَعْضُ صَحْبِهِ فِى أَثَرِ الْهَارِبِينَ ؛ وَلٰكِنَّ الْفَارِّينَ كَانُوا قَدْ تَخَفَّفُوا مِنْ أَحْمَالِهِمْ ، وَفَرَّطُوا فِى زَادِهِمْ ، فَجَعَلُوا يُلْقُونَ بِهِمَا أَثْنَاءَ هَرَبِهِمْ ، حَتَّى اسْتَطَاعُوا الإِفْلاَتَ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَالْخَلاَصَ بِأَرْوَاحِهِمْ .

وَلَمْ تَجْرُؤ قُرَيْشٌ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ عَلَى أَنْ تَخْرُجَ بِتِجَارَتِهَا إِلَى الشَّامِ مِنَ الطَّرِيقِ الْمَعْهُودِ ، فَخَرَجَتْ بِهَا عَنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ بِرَغْمِ طُولِهِ ، وَوُعُورَتِهِ ، وَقِلَّةِ مَائِهِ ، حَتَّى تَتَّقِىَ اعْتِرَاضَ الْمُسْلِمِينَ لَهَا ، وَلٰكِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ عَلِمُوا بِخُطَّةِ قُرَيْشٍ هٰذِهِ ، فَبَعَثَ مُحَمَّدٌ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِى مِائَةِ رَاكِبٍ لِيَعْتَرِضُوا تِجَارَةَ قُرَيْشٍ ، فَلَحِقُوا بِهَا عِنْدَ الْقَرَدَةِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ ، فَفَرَّ أَصْحَابُ الْعِيرِ ، وَوَقَعَتِ الْعِيرُ غَنِيمَةً طَيِّبَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَسَّمَهَا النَّبِىُّ كَمَا كَانَ يُقَسِّمُ كُلَّ مَا يَقَعُ غَنِيمَةً فِى يَدِ الْمُسْلِمِينَ ، مُتَّبِعًا فِى تَقْسِيمِهِ مَا أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ فِى ذٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ .

لَمْ يَكُنْ لِيَغِيبَ عَنْ فِكْرِ مُحَمَّدٍ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا عَلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ فِى

غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَمَا كَانَ لِيَغْرُبَ عَنْ بَالِهِ أَنَّ قُرَيْشًا لَنْ تَسْكُنَ لِمَا أَصَابَهَا وَلَنْ تَهْدَأَ حَتَّى تَرُدَّ لِلْمُسْلِمِينَ الصَّاعَ صَاعَيْنِ ، وَتَنْتَقِمَ لِمَنْ قُتِلَ مِنْ رِجَالِهَا ، وَصُرِعَ مِنْ أَبْنَائِهَا ، وَلاَ سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ قَافِلَةَ تِجَارَتِهَا إِلَى الشَّامِ ، وَالَّتِى كَانَتْ قَدْ حَوَّلَتْهَا خَوْفًا مِنْهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْعِرَاقِ ؛ لِذَا لَمْ يُبَاغَتْ مُحَمَّدٌ حِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ كِتَابًا يُعْلِمُهُ فِيهِ بِخُرُوجِ جَيْشِ قُرَيْشٍ لِمُقَاتَلَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتَوَقَّعْ هٰذِهِ السُّرْعَةَ فِى تَجْهِيزِ هٰذَا الْجَيْشِ الْعَرَمْرَمِ الْكَبِيرِ الَّذِى وَصَفَهُ لَهُ عَمُّهُ بِكِتَابِهِ ، وَوَصَفَ لَهُ عُدَّتَهُ وَعَتَادَهُ .

كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ فَرَغَتْ مِن تَجْهِيزِ جَيْشِهَا الَّذِى أَعَدَّتْ لَهُ ما أَعَدَّتْ مِنْ مَالٍ وَرِجَالٍ ، وَحَالَفَتْ لَهُ مِنَ الْقَبَائِلِ مَا حَالَفَتْ ، وَاسْتَنْفَرَتْ لَهُ مِنَ الْمَوَالِى وَالأَحَابِيشِ مَا اسْتَنْفَرَتْ ، حَتَّى لَكَانَ يَخْرُجُ شُعَرَاؤُهَا ، وَذَوُو الْفَصَاحَةِ مِنْ رِجَالِهَا ، يَحُثُّونَ النَّاسَ عَلَى الانْضِمَامِ إِلَى صُفُوفِ الْمُحَارِبِينَ ، وَيَسْتَنْفِرُونَ الْقَبَائِلَ عَلَى الاتِّحَادِ مَعَ الْمُقَاتِلِين ، كَمَا كَانَتِ النِّسَاءُ فِى مُقَدِّمَةِ الْمُحَرِّضَاتِ لِلرِّجَالِ عَلَى الْقِتَالِ .

وَكَانَتْ فى مُقَدِّمَةِ هٰؤُلاَءِ النِّسَاءِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، زَوْجُ أَبِى سُفْيَانَ الَّتِى وُتِرَتْ فى أَبِيهَا وَأَخِيهَا وَعَمِّهَا فى غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَنَذَرَتْ أَلَّا تَقْرَبَ الدُّهْنَ حَتَّى تَثْأَرَ لَهُمْ .

وَلَمَّا تَأَهَّبَ الْجَيْشُ لِلْمَسِيرِ لِغَزْوِ مُحَمَّدٍ أَبَتْ إِلَّا أَنْ تَصْحَبَهُ فى عَدَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ، بِرَغْمِ مُحَاوَلَةِ الرِّجَالِ ثَنْيَهُنَّ عَنْ ذٰلِكَ .

وَكَانَ طُعَيْمَةُ بْنُ عَدِىٍّ عَمُّ جُبَيْرِ بْنِ الْمُطْعِمِ مِنْ قَتْلَى بَدْرٍ ، وَكَانَ لِجُبَيْرٍ غُلَامٌ حَبَشِىٌّ اسْمُهُ وَحْشِىٌّ ، يُحْسِنُ الرِّمَايَةَ بِالْحِرَابِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْحَبَشَةِ ، فَقَالَ جُبَيْرٌ لِغُلَامِهِ هٰذَا : يَا وَحْشِىُّ ، أَنْتَ حُرٌّ عَتِيقٌ لَوْ قَتَلْتَ فى عَمِّى : مُحَمَّدًا أَوْ حَمْزَةَ أَوْ عَلِيًّا .

وَقَالَتْ لَهُ هِنْدُ : يَا وَحْشِىُّ ، لَكَ مُكَافَأَةٌ طَيِّبَةٌ مِنِّى إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَ فى أَبِى وَإِخْوَتِى : مُحَمَّدًا أَوْ حَمْزَةَ أَوْ عَلِيًّا ، فَإِنِّى لَا أَرَى فى الْقَوْمِ كُفْئًا لَآلِى غَيْرَهُمْ ، فَوَعَدَهُمَا وَحْشِىٌّ أَنْ يَفْعَلَ .

وَسَارَ جَيْشُ قُرَيْشٍ بِقِيَادَةِ أَبِى سُفْيَانَ ، يَبْغِى الْمَدِينَةَ فى ثَلَاثَةِ آلَافٍ

رَجُلٍ ، مَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ ، وَثَلاَثَةُ آلاَفِ بَعِيرٍ ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً يَضْرِبْنَ الدُّفُوفَ ، وَيَنُحْنَ عَلَى قَتْلَى بَدْرٍ ، وَيُشَجِّعْنَ الرِّجَالَ ، وَيُحَمِّسْنَهُمْ ، وَيُثِرْنَ نَخْوَتَهُمْ . وَيُرَافِقُ الْجَيْشَ أَبُو عَامِرٍ الأَوْسِيُّ فِى نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ الأَوْسِ - وَكَانُوا قَدْ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ مُجَانِبِينَ لِلرَّسُولِ حِينَ وَفَدَ إِلَيْهَا - وَأَبُو عَامِرٍ يَعِدُ جَيْشَ قُرَيْشٍ بِأَنَّهُ إِذَا مَا الْتَقَى بِجَيْشِ مُحَمَّدٍ فَلَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ الأَوْسِ رَجُلاَنِ .

فَلَمَّا كَانُوا بِالأَبْوَاءِ - وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِى دُفِنَتْ بِهِ آمِنَةُ أُمُّ مُحَمَّدٍ حِينَ فَاجَأَهَا الْمَرَضُ وَمَاتَتْ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهَا مِنْ زِيَارَةٍ لِقَبْرِ زَوْجِهَا بِالْمَدِينَةِ ، وَمَعَهَا مُحَمَّدٌ ، وَهُوَ لاَ يَزَالُ طِفْلاً . قَالَتْ هِنْدُ لِلرِّجَالِ : انْبِشُوا قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ ، فَلَوْ أُسِرَ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَدَيْتُمْ كُلَّ أَسِيرٍ بِجُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا ، وَلَكِنَّ بَعْضَ الرِّجَالِ لَمْ يَرْضَ بِهٰذَا الرَّأْىِ ، وَقَالُوا : لاَ تَفْعَلُوا شَيْئًا مِنْ هٰذَا ، فَلَوْ فَعَلْتُمْ لَنَبَشَ بَنُو بَكْرٍ وَبَنُو خُزَاعَةَ مَوْتَانَا .

وَسَارَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ بِالْعَقِيقِ ، وَهُوَ وَادٍ عَلَى بُعْدِ نَحْوِ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ

مِنَ الْمَدِينَةِ.

وَفِى هٰذَا الْوَقْتِ كَانَ وُصُولُ كِتَابِ الْعَبَّاسِ - عَمِّ مُحَمَّدٍ - إِلَى ابْنِ أَخِيهِ، وَمُحَمَّدٌ إِذْ ذَاكَ بِقُبَاءَ، فَقَرَأَهُ لَهُ أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ، فَاسْتَكْتَمَهُ مُحَمَّدٌ مَا فِيهِ، وَعَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَصَدَ إِلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فِى دَارِهِ وَأَخْبَرَهُ بِكِتَابِ الْعَبَّاسِ، وَاسْتَكْتَمَهُ الْخَبَرَ حَتَّى يَسْتَشِيرَ أَصْحَابَهُ وَمُسْتَشَارِيهِ فِيهِ، وَلٰكِنَّ زَوْجَةَ سَعْدٍ كَانَتْ قَدْ سَمِعَتْ مَقَالَةَ النَّبِىِّ لِزَوْجِهَا، فَذَاعَ الْخَبَرُ وَشَاعَ قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَ النَّبِىُّ مَعَ أَصْحَابِهِ بِرَأْىٍ فِيهِ.

وَبَثَّ مُحَمَّدٌ الْعُيُونَ لِتَأْتِيَهُ بِخَبَرِ جَيْشِ قُرَيْشٍ، وَتَتَسَقَّطَ لَهُ أَنْبَاءَهُ، فَأَرْسَلَ أُنْسًا وَمُؤْنِسًا ابْنَىْ فَضَالَةَ، وَأَرْسَلَ الْحَبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ، فَأَتَوْهُ بِخَبَرِ وُصُولِ الْجَيْشِ وَنُزُولِهِ بِأَطْرَافِ الْمَدِينَةِ، تَرْعَى خَيْلُهُ وَإِبِلُهُ حَرْثَهَا وَزَرْعَهَا، وَنَبَّئُوهُ بِمَبْلَغِ قُوَّةِ الْجَيْشِ وَعُدَّتِهِ وَعَتَادِهِ.

وَقَضَى أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَتَهُمْ فِى فَزَعٍ وَرُعْبٍ خَشْيَةَ هٰذَا الْعَدُوِّ الْمَوْتُورِ الْقَوِىِّ الْجَاثِمِ عَلَى أَبْوَابِ مَدِينَتِهِمْ، وَبَاتَ وُجُوهُهُمْ بِلِبَاسِ الْحَرْبِ يَحْرُسُونَ

أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ ، وَيَحْرُسُونَ مَسْجِدَ الرَّسُولِ خَوْفًا مِنْ إغَارَةِ الأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ لَيْلاً .

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ - وَكَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ - وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ قَالَ لَهُمْ :

إِنِّى أَرَى أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ . وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرٍّ مُقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَا فِيهَا ، فَأَنَا أَعْلَمُ بِطُرُقَاتِهَا وَمَسَالِكِهَا مِنْهُمْ ، فَبِمَاذَا تُشِيرُونَ عَلَىَّ ؟

فَوَافَقَ كِبَارُ الْقَوْمِ عَلَى رَأْىِ النَّبِىِّ هٰذَا وَحَبَّذُوهُ ، وَانْبَرَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَىٍّ يُؤَمِّنُ عَلَيْهِ قَائِلاً : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ وَلاَ تَخْرُجْ ، فَوَاللهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوٍّ قَطُّ إِلاَّ أَصَابَ مِنَّا ، وَلاَ دَخَلَهَا إِلاَّ أَصَبْنَا مِنْهُ ، فَدَعْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مُقَامٍ ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلْنَاهُمْ فِى الطُّرُقَاتِ ، وَرَمَتْهُمُ النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ بِالْحِجَارَةِ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالآطَامِ .

وَأَخَذَتِ الْحَمِيَّةُ فِتْيَانًا مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرُوا بَدْرًا ، فَتَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ حَضَرُوهَا ،

وَرِجَالاً مِمَّنْ حَضَرُوهَا فَانْتَشَوْا بِنَشْوَةِ النَّصْرِ ، وَتَأْيِيدِ اللهِ لَهُمْ فِيهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ اُخْرُجْ بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّا جَبُنَّا عَنْ لِقَائِهِمْ فَيَكُونَ هٰذَا جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيْنَا ، قَدْ كُنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ يَوْمَ بَدْرٍ فِي ثَلاَثِمِائَةِ رَجُلٍ فَظَفَّرَكَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ جَمْعٌ كَبِيرٌ ، قَدْ كُنَّا نَتَمَنَّى هٰذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللهَ بِهِ .

وَقَالَ آخَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَتَى نُحَارِبُهُمْ إِنْ لَمْ نُحَارِبْهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا شِعْبَنَا وَوَطِئُوا زَرْعَنَا ؟!

وَقَالَ خَيْثَمَةُ أَبُو سَعْدِ بْنُ خَيْثَمَةَ : لَقَدْ أَخْطَأَتْنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ ، وَكُنْتُ عَلَيْهَا حَرِيصًا ، فَخَرَجَ ابْنِي فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ الْبَارِحَةَ فِي نَوْمِي يَقُولُ لِي : اِلْحَقْ بِنَا يَا أَبَتِ تُرَافِقْنَا فِي الْجَنَّةِ ، فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا .

وَقَالَ حَمْزَةُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لاَ أَطْعَمُ طَعَامًا حَتَّى أُجَادِلَهُمْ بِسَيْفِي خَارِجَ الْمَدِينَةِ .

وهٰكَذَا دَفَعَتِ الْحَمِيَّةُ الْفِتْيَانَ عَلَى التَّحَمُّسِ لِلْخُرُوجِ لِمُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ ،

وَدَفَعَ نَصْرُ بَدْرٍ الرِّجَالَ عَلَى مُؤَازَرَتِهِمْ فِى هٰذَا الطَّلَبِ ، تَدْفَعُهُمْ جَمِيعًا الرَّغْبَةُ فِى الذَّوْدِ عَنْ حِمَى الإِسْلامِ وَالْمَوْتِ فِى سَبِيلِهِ ، حَتَّى يَكُونَ رِضَاءُ اللهِ نَصِيبَهُمْ ، وَنَعِيمُ الْجَنَّةِ الَّتِى وَعَدَهُمْ بِهَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَآلَهُمْ .

إِذْ ذَاكَ لَمْ يَجِدِ الرَّسُولُ بُدًّا مِنْ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى رَأْيِ أَكْثَرِ الْقَوْمِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ وَإِيَّاهُمْ لِمُحَارَبَةِ عَدُوِّهِمْ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ، فَقَامَ فَصَلَّى بِهِمُ الْجُمُعَةَ ، وَخَطَبَ فِيهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالْجِهَادِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا ، وَبَعْدَ أَنْ صَلَّى بِهِمْ صَلاةَ الْعَصْرِ نَهَضَ فَدَخَلَ بَيْتَهُ ، وَدَخَلَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَعَمَّمَاهُ ، وَأَلْبَسَاهُ لأْمَةَ الْحَرْبِ ، وَتَقَلَّدَ النَّبِىُّ سَيْفَهُ ، وَتَوَشَّحَ نَبْلَهُ ، وَالنَّاسُ فِى الْخَارِجِ مَا بَيْنَ فَرِحٍ جَذْلاَنَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْعَدُوِّ ، وَكَارِهٍ مُتَشَائِمٍ لِهٰذَا الْخُرُوجِ ، يَتَنَاقَشُونَ وَيَتَجَادَلُونَ فِى هٰذَا وَذَاكَ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ لِلَّذِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِىِّ الْخُرُوجَ : قُلْتُمْ لِرَسُولِ اللهِ مَا قُلْتُمْ ، وَاسْتَكْرَهْتُمُوهُ عَلَى الْخُرُوجِ وَالأَمْرُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ فَرُدُّوا الأَمْرَ إِلَيْهِ ، فَمَا أَمَرَكُمْ فَافْعَلُوهُ ، وَمَا رَأَيْتُمْ فِيهِ لَهُ هَوًى أَوْ رَأْيًا فَأَطِيعُوهُ .

وَبَيْنَمَا الْجَمْعُ فِى هٰذَا النِّقَاشِ وَتِلْكَ الْمُحَاوَرَةِ - خَرَجَ النَّبِىُّ عَلَيْهِمْ وَقَدْ لَبِسَ لِبَاسَ الْحَرْبِ ، فَبَادَرَ إِلَيْهِ الَّذِينَ كَانُوا يُلِحُّونَ عَلَيْهِ فِى طَلَبِ الْخُرُوجِ يَقُولُونَ : يَا رَسُولَ اللهِ ؛ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ .

قَالَ : قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى هٰذَا الْحَدِيثِ فَأَبَيْتُمْ ، وَلاَ يَنْبَغِى لِنَبِىٍّ إِذَا لَبِسَ لأُمَّتِهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ ؛ انْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ ؛ امْضُوا عَلَى اسْمِ اللهِ ، فَلَكُمُ النَّصْرُ مَا صَبَرْتُمْ .

وَاسْتَعَدَّ الْمُحَارِبُونَ ، وَخَرَجَ الْجَيْشُ مِنَ الْمَدِينَةِ فِى أَلْفِ مُقَاتِلٍ ، وَلَيْسَ فِيهِ مِنَ الْخُيُولِ غَيْرُ فَرَسَيْنِ أَحَدُهُمَا لِرَسُولِ اللهِ .

وَكَانَ مَعَ الْجَيْشِ فِتْيَانٌ أَحْدَاثٌ ، يُرِيدُونَ الانْضِمَامَ إِلَى صُفُوفِ الْمُقَاتِلِينَ ، لِيَنَالُوا شَرَفَ الدِّفَاعِ عَنْ دِينِ اللهِ ، فَلَمَّا اسْتَعْرَضَهُمْ رَسُولُ اللهِ لَمْ يُجِزْ مِنْهُمْ غَيْرَ اثْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَجَادَ الرِّمَايَةَ ، وَالآخَرُ أَجَادَ الْمُصَارَعَةَ .

وَسَارَ مُحَمَّدٌ بِالْجَيْشِ حَتَّى نَزَلَ لِلْمَبِيتِ فِى مَكَانٍ بِهِ مُرْتَفَعَانِ يُسَمَّيَانِ بِالشَّيْخَيْنِ ، وَهُنَاكَ أَبْصَرَ كَتِيبَةً مِنَ الْمُقَاتِلِينَ لَهَا ضَوْضَاءُ وَلَهَا جَلَبَةٌ . فَسَأَلَ :

مَا هٰذِهِ ؟

فَقِيلَ لَهُ : هٰؤُلاَءِ حُلَفَاءُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ .

قَالَ النَّبِيُّ : لاَ يُسْتَنْصَرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ مَا لَمْ يُسْلِمُوا .

فَانْصَرَفَ عَسْكَرُ الْكَتِيبَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ عَائِدِينَ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا .

وَقَضَى الْجَيْشُ لَيْلَتَهُ ، يَطُوفُ عَلَيْهِ لِحِرَاسَتِهِ خَمْسُونَ نَفَرًا مِنْ عَسْكَرِهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ انْسَحَبَ مِنَ الْجَيْشِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ وَمَعَهُ نَحْوُ ثَلاَثِمِائَةٍ مِنْ مُدَّعِي الإِسْلاَمِ وَالْمُنَافِقِينَ عَائِدِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَحِقَ بِهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ خُزَامٍ يُرَاجِعُهُمْ فِيمَا فَعَلُوا ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِحِلْفِهِمْ لِلرَّسُولِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أُبَيٍّ : لَقَدْ عَصَانِي وَأَطَاعَ الْغِلْمَانَ ، وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ حَقًّا مَا أَسْلَمْنَاهُمْ .

وَسَارَ النَّبِيُّ وَمَعَهُ نَحْوُ سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ ، مُتَّجِهِينَ نَحْوَ جَيْشِ عَدُوٍّ عَدَدُهُ ثَلاَثَةُ آلاَفِ رَجُلٍ ، أَكْثَرُهُمْ يَطْلُبُ الثَّأْرَ ، وَجُلُّهُمْ مَوْتُورٌ .

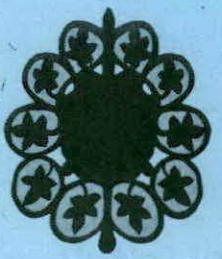

وَتَوَاجَهَ الْجَيْشَانِ : جَيْشُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ لِدِينِ اللهِ ، وَجَيْشُ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِرَسُولِ اللهِ ، عِنْدَ جَبَلِ أُحُدٍ .

وَأَخَذَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَتَأَهَّبُ لِلنِّزَالِ ؛ فَصَفَّ النَّبِيُّ أَصْحَابَهُ حَمَلَةَ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ جَاعِلاً ظُهُورَهُمْ إِلَى الْجَبَلِ وَحَامِلُ لِوَائِهِمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَأَوْقَفَ رُمَاةَ النِّبَالِ مِنْ خَلْفِهِمْ فَوْقَ شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ الْجَبَلِ ، وَأَوْصَى الرُّمَاةَ بِقَوْلِهِ :

احْمُوا لَنَا ظُهُورَنَا ، فَإِنَّا نَخَافُ أَنْ نُؤْتَى مِنْ وَرَائِنَا ، وَالْزَمُوا مَكَانَكُمْ

لاَ تَبرَحُوا مِنْهُ ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمُونَا نَهزِمُهُمْ حَتَّى نَدْخُلَ فِى عَسْكَرِهِمْ فَلاَ تُفَارِقُوا مَكَانَكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلاَ تُعِينُونَا ، وَلاَ تَدْفَعُوا عَنَّا ، وَإِنَّمَا ارْشُقُوهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَإِنَّ الْخَيْلَ لاَ تَقْدَمُ عَلَيْهَا .

وَصَفَّتْ قُرَيْشٌ جَيْشَهَا ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ فُرْسَانٌ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ فُرْسَانٌ عَلَيْهِمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِى جَهْلٍ ، وَأَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ قَائِدُ الْجَيْشِ إِثَارَةَ الْحَمِيَّةِ فِى نُفُوسِ حَمَلَةِ لِوَاءِ الْجَيْشِ مِنْ بَنِى عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لَهُمْ يُحَمِّسُهُمْ :

إِنَّمَا يُؤْتَى النَّاسُ مِنْ قِبَلِ رَايَاتِهِمْ ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكْفُونَا ، وَإِمَّا أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللِّوَاءِ .

فَقَالَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ ، وَقَدْ ثَارَتْ حَمَاسَتُهُمْ ، وَاسْتَنْفَرَتْ هِمَّتُهُمْ :

سَتَرَى إِذَا الْتَقَيْنَا وَإِيَّاهُمْ كَيْفَ نَصْنَعُ !

أَمَّا نِسَاؤُهُمْ ، وَفِى مُقَدِّمَتِهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، زَوْجُ أَبِى سُفْيَانَ ، فَكُنَّ يَرُحْنَ وَيَجِئْنَ بَيْنَ صُفُوفِ الْعَسْكَرِ ، يُحَمِّسْنَهُمْ ، وَيُثِرْنَ نَخْوَتَهُمْ ، وَهُنَّ

يَضْرِبْنَ عَلَى الدُّفُوفِ وَالطُّبُولِ ، فَيُقْبِلْنَ دَاعِيَاتٍ رِجَالَ الْمُقَدِّمَةِ إِلَى النِّضَالِ بِقَوْلِهِنَّ :

وَيْهًا بَنِى عَبْدِ الدَّار ! وَيْهًا حُمَاةَ الأَدْبَار ! ضَرْبًا بِكُل بَتَّار !

ثُمَّ يَرْجِعْنَ مُنْشِدَاتٍ :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِى عَلَى النَّمَارِقْ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ

فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

وَإِذَا مَا مَرَّتْ هِنْدُ عَلَى وَحْشِيٍّ حَرَّضَتْهُ عَلَى مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ مَعَهُ مِنْ قَتْلِ مُحَمَّدٍ أَوْ حَمْزَةَ أَوْ عَلِيٍّ بِقَوْلِهَا لَهُ : يَا أَبَا وَشْمَةَ ؛ اشْفِ وَاسْتَشْفِ .

وَتَقَدَّمَ أَبُو عَامِرٍ الأَوْسِىُّ مِنْ صُفُوفِ قُرَيْشٍ ، فَنَادَى عَلَى قَوْمِهِ الأَوْسِ مِنْ صُفُوفِ رَسُولِ اللهِ – وَهُوَ يَرْجُو انْضِمَامَهُمْ إِلَيْهِ :

يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ ؛ أَنَا أَبُو عَامِرٍ !

فَأَجَابَهُ الأَوْسُ الْمُسْلِمُونَ : لاَ أَنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ .

فَقَالَ : لَقَدْ أَصَابَ الْقَوْمَ مِنْ بَعْدِى شَرٌّ .

وَنَادَى أَبُو سُفْيَانَ : يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِى عَمِّنَا وَنَنْصَرِفُ عَنْكُمْ .

فَشَتَمَهُ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَقْبَحَ الشَّتْمِ ، وَلَعَنُوهُ أَشَدَّ اللَّعْنِ .

وَتَرَامَى الْفَرِيقَانِ وَقْتًا بِالأَحْجَارِ ، حَتَّى وَلَّى أَبُو عَامِرٍ وَأَتْبَاعُهُ مُدْبِرِينَ .

حِينَئِذٍ أَمَرَ النَّبِىُّ بِالْقِتَالِ فَوَجَّهَ نَفَرًا مِنْ صَحَابَتِهِ إِلَى مَيْمَنَةِ الْفُرْسَانِ ، وَنَفَرًا إِلَى مَيْسَرَتِهِمْ ، وَأَذِنَ لِلْمُقَاتِلِينَ بِالدُّخُولِ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ ، فَانْدَفَعَ حَمْزَةُ - أَسَدُ الإِسْلاَمِ - فَصَاحَ صَيْحَةَ الْحَرْبِ الَّتِى اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فِى هٰذَا الْيَوْمِ :

أَمِتْ ، أَمِتْ ! .

وَانْدَفَعَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ طَلْحَةُ ابْنُ أَبِى طَلْحَةَ حَامِلُ لِوَائِهِمْ ، فَانْقَضَّ عَلَيْهِ عَلِىٌّ بِسَيْفِهِ ، فَضَرَبَهُ فَصَرَعَهُ إِلَى الأَرْضِ ؛ فَحَمَلَ اللِّوَاءَ أَخُوهُ عُثْمَانُ فَحَمَلَ عَلَيْهِ حَمْزَةُ بِسَيْفِهِ فَضَرَبَهُ عَلَى يَدِهِ

الَّتِى تَحْمِلُ اللِّوَاءَ ، فَحَمَلَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى ، فَضَرَبَهُ عَلَيْهَا حَمْزَةُ ، فَقَطَعَهَا .
فَحَمَلَ اللِّوَاءَ أَخُوهُمَا أَبُو سَعِيدٍ فَرَمَاهُ سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ ، فَأَصَابَ حَنْجَرَتَهُ فَقُتِلَ ، وَهٰكَذَا ظَلَّ اللِّوَاءُ يَنْتَقِلُ بَيْنَ يَدَىْ طَلْحَةَ وَإِخْوَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى وَلَدَيْهِ مُسَافِعٍ وَطَلْحَةَ فَرَمَاهُمَا عَاصِمُ بْنُ أَبِى الأَفْلَحِ فَقَتَلَهُمَا ، وَكَانَتْ أُمُّهُمَا سُلاَفَةُ بَيْنَ نِسَاءِ جَيْشِ قُرَيْشٍ ، فَتَلَقَّتْ وَلَدَيْهَا الْوَاحِدَ بَعْدَ الآخَرِ ، وَوَسَّدَتْهُمَا حِجْرَهَا وَهُمَا يَلْفِظَانِ أَنْفَاسَهُمَا الأَخِيرَةَ ، وَهِىَ تَسْأَلُ كُلاًّ مِنْهُمَا :

يَا وَلَدِى ، مَنْ أَصَابَكَ ؟!

فَيُجِيبُهَا ابْنُهَا بَيْنَ حَشْرَجَةِ الْمَوْتِ : سَمِعْتُ رَجُلاً حِينَ رَمَانِى يَقُولُ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ أَبِى الأَفْلَحِ .

فَنَذَرَتْ سُلاَفَةُ إِنْ أَمْكَنَهَا اللهُ مِنْ رَأْسِ عَاصِمِ بْنِ أَبِى الأَفْلَحِ أَنْ تَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ ، وَجَعَلَتْ لِمَنْ جَاءَهَا بِرَأْسِهِ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ .

وَأَخْرَجَ النَّبِىُّ سَيْفًا ، وَقَالَ : مَنْ يَأْخُذُ هٰذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ ؟

فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ أَبُو دُجَانَةَ ، مِنَ الأَنْصَارِ

فَقَالَ : وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

قَالَ الرَّسُولُ : أَنْ تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِيَ .

فَأَخَذَهُ أَبُو دُجَانَةَ ، وَكَانَ رَجُلاً مِقْدَامًا شُجَاعًا ، لَهُ عِصَابَةٌ حَمْرَاءُ يَعْصِبُ بِهَا رَأْسَهُ إِذَا مَا أَرَادَ الْحَرْبَ ، فَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ يُحَارِبُ ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ ، وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ عَلَى عَادَتِهِ إِذَا مَا أَرَادَ الْحَرْبَ ، فَلَمَّا رَآهُ مُحَمَّدٌ فِي هٰذِهِ الْمِشْيَةِ قَالَ :

إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلاَّ فِي هٰذَا الْمَوْطِنِ .

وَصَالَ أَبُو دُجَانَةَ وَجَالَ بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ عَلَمُ الْمَوْتِ ، فَمَا مَرَّ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلاَّ جَدَّلَهُ بِسَيْفِهِ ، وَمَا اعْتَرَضَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ قَتَلَهُ ، حَتَّى الْتَقَى بِشَخْصٍ يُحَمِّسُ النَّاسَ تَحْمِيسًا شَدِيدًا ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، فَرَفَعَ عَلَيْهِ سَيْفَهُ لِيَضْرِبَهُ فَصَاحَ مُوَلْوِلاً ، فَإِذَا بِهِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، فَرَدَّ أَبُو دُجَانَةَ السَّيْفَ عَنْهَا مُكْرِمًا سَيْفَ الرَّسُولِ أَنْ يَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً .

وَحَمِيَ وَطِيسُ الْقِتَالِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَكَانَتْ فِيهِ كِفَّةُ الْمُؤْمِنِينَ

الرَّاجِحَةَ ، وَكِفَّةُ الْمُشْرِكِينَ الْخَاسِرَةَ ، فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ يَجُولُونَ بِأَسْيَافِهِمْ فِي الْمُشْرِكِينَ فَيُصِيبُونَهُمْ ، وَيَصُولُونَ فِيهِمْ بِنِبَالِهِمْ فَيُجَدِّلُونَهُمْ .

وَكَانَ أَسَدُ اللهِ حَمْزَةُ لاَ يَهُزُّ سَيْفَهُ يَمِينًا إِلاَّ لِيَقْتُلَ ، وَلاَ يُلَوِّحُ بِهِ يَسَارًا إِلاَّ لِيَصْرَعَ ؛ وَلٰكِنَّ عَيْنَىْ وَحْشِيٍّ كَانَتْ تَرْقُبُهُ وَتَتَرَصَّدُهُ . يَتَحَيَّنُ صَاحِبُهَا الْفُرْصَةَ الْمُوَاتِيَةَ كَيْ يَرْمِيَهُ فِيهَا بِحَرْبَتِهِ لِيَكُونَ فِدَاءً لِعِتْقِهِ وَثَمَنًا لِحُرِّيَّتِهِ ! !

وَأَخِيرًا ؛ حَانَتْ الْفُرْصَةُ الَّتِي خَرَجَ مِنْ أَجْلِهَا وَحْشِيٌّ مُقَاتِلاً ، وَأَتَتِ اللَّحْظَةُ الَّتِي تَرَقَّبَهَا مُنْذُ بَدْءِ الْقِتَالِ .

كَانَ حَمْزَةُ إِذْ ذَاكَ يَنْقَضُّ بِسَيْفِهِ عَلَى أَحَدِ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ وَحْشِيٍّ الَّذِي كَانَ يَخْتَبِئُ مُتَرَبِّصًا لَهُ خَلْفَ إِحْدَى الصُّخُورِ يُوَازِنُ حَرْبَتَهُ بِيَدِهِ كَيْ يُحْسِنَ إِلْقَاءَهَا ، وَيُجِيدَ رِمَايَتَهَا ، فَلَمَّا رَضِيَ عَنْهَا رَمَى بِهَا إِلَى هَدَفِهِ ، فَاخْتَرَقَتْ حَمْزَةَ مِمَّا يَلِي الدِّرْعَ مِنْ جَسَدِهِ . وَالْتَفَتَ إِلَى مَصْدَرِ الطَّعْنَةِ فَرَأَى حَبَشِيًّا تَلْمَعُ فِي عَيْنَيْهِ ابْتِسَامَةُ الْفَوْزِ ، فَخَطَا نَحْوَهُ يُرِيدُ أَنْ يَصْرَعَهُ بِسَيْفِهِ . . وَلٰكِنْ . . وَا أَسَفَاهُ . . فَلَقَدْ خَانَتْ أَسَدَ اللهِ وَأَسَدَ الإِسْلاَمِ قُوَاهُ ، فَتَعَثَّرَ ، ثُمَّ

سَقَطَ يَجُودُ بِأَنْفَاسِهِ الطَّاهِرَةِ ، لِيَنْتَقِلَ إِلَى جَنَّةِ الشُّهَدَاءِ الَّتِى وَعَدَ اللهُ بِهَا الْمُتَّقِينَ .

وَظَلَّ عَدُوُّ اللهِ يَنْظُرُ إِلَى حَبِيبِ اللهِ حَتَّى إِذَا مَا فَاضَتْ رُوحُهُ ، وَسَكَنَتْ اخْتِلَاجَاتُ جَسَدِهِ تَقَدَّمَ فَنَزَعَ حَرْبَتَهُ ، ثُمَّ وَلَّى إِلَى مُؤَخِّرَةِ الْمُعَسْكَرِ ، فَرَبَضَ فِيهِ ، إِذْ لَمْ يَعُدْ لَهُ فِى الْقِتَالِ غَايَةٌ وَلاَ فِى النِّزَالِ مَأْرَبٌ .

وَمَعَ أَنَّ حَمْزَةَ قُتِلَ ، فَقَدْ أُصِيبَ الْمُشْرِكُونَ بِهَزِيمَةٍ مَرِيرَةٍ ، وَنَالَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ نَصْرًا لاَ شَكَّ فِيهِ ، وَكَانَ لِوَاءُ قُرَيْشٍ قَدْ صَارَ إِلَى الأَرْضِ ، وَدِيسَ بِالأَقْدَامِ ، بَعْدَ أَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِى بَنِى عَبْدِ الدَّارِ يَدًا بَعْدَ يَدٍ فَفَنُوا جَمِيعًا دُونَهُ ، فَتَفَرَّقَ الرِّجَالُ مِنْ حَوْلِهِ ، وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ ، وَأَخَذُوا يَفِرُّونَ أَمَامَ سُيُوفِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِى كَانَتْ تَطِيحُ فِيهِمْ ، فَتَجْتَثُّ رُءُوسَهُمْ ، وَتَحْصُدُ أَرْوَاحَهُمْ ، وَوَلْوَلَتِ النِّسَاءُ اللَّاتِى كُنَّ يُشَجِّعْنَ الرِّجَالَ وَيُحَمِّسْنَهُمْ وَوَلَّيْنَ إِلَى شِعَابِ الْجَبَلِ هَارِبَاتٍ .

حِينَئِذٍ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ النَّصْرَ حَلِيفُهُمْ ، وَأَنَّ يَوْمَهُمْ هٰذَا هُوَ يَوْمُ بَدْرٍ ،

فَانْتَشَوْا بِنَشْوَةِ الْفَرَحِ وَاسْتَخَفَّهُمُ السُّرُورُ ، فَانْدَفَعُوا بِجُمُوعِهِمْ إِلَى جَيْشِ الْعَدُوِّ يَغْنَمُونَ مِنْ غَنَائِمِهِ .

وَرَأَى رُمَاةُ الْمُسْلِمِينَ - وَهُمْ فَوْقَ الْجَبَلِ حَيْثُ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ - مَا كَانَ مِنْ هَزِيمَةِ الْمُشْرِكِينَ وَانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَأَوْا مَا كَانَ مِنْ دُخُولِ الْمُنْتَصِرِينَ إِلَى صُفُوفِ الْمَهْزُومِينَ يَكْسِبُونَ وَيَغْنَمُونَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لِمَ تُقِيمُونَ هَا هُنَا فِي غَيْرِ شَيْءٍ ؟! قَدْ هَزَمَ اللهُ الْعَدُوَّ ، وَهَؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ يَنْتَهِبُونَ عَسْكَرَهُمْ فَادْخُلُوا فَاغْنَمُوا مَعَ إِخْوَانِكُمْ مَا يَغْنَمُونَ .

فَأَجَابَ بَعْضٌ آخَرُ : أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ : احْمُوا ظُهُورَنَا وَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ ؟!

قَالُوا : لَمْ يُرِدْ رَسُولُ اللهِ أَنْ نَبْقَى بَعْدَ انْهِزَامِ الْمُشْرِكِينَ .

فَنَصَحَهُمْ أَمِيرُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَلَّا يُخَالِفُوا أَمْرَ الرَّسُولِ . وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَأْبَهُوا لِكَلَامِهِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى نَصِيحَتِهِ ، فَانْطَلَقُوا لِيَغْنَمُوا مِمَّا يَغْنَمُ غَيْرُهُمْ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ تَلْبِيَةً لِرَغْبَةِ أَمِيرِهِمْ وَطَاعَةً لِأَمْرِ الرَّسُولِ ، غَيْرُ نَفَرٍ قَلِيلٍ مِنْهُمْ .

وَحَانَتْ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، قَائِدُ مَيْمَنَةِ فُرْسَانِ الْمُشْرِكِينَ الْتِفَاتَةً نَحْوَ مَكَانِ رُمَاةِ الْمُسْلِمِينَ فَرَآهُ خَالِيًا إِلَّا مِنْ عَدَدٍ قَلِيلٍ فَشَدَّ عَلَيْهِ بِفُرْسَانِهِ ، وَلَحِقَ بِهِ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ قَائِدُ فُرْسَانِ الْمَيْسَرَةِ ، فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا قَلِيلٌ ، حَتَّى كَانَ أَمِيرُ الرُّمَاةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ جُثَّةً مُمَثَّلاً بِهَا أَشْنَعَ تَمْثِيلٍ ، وَكَانَ النَّفَرُ الْقَلِيلُ مِنْ حَوْلِهِ صَرْعَى بِنِبَالِ الْمُشْرِكِينَ .

وَانْدَفَعَ الْفُرْسَانُ بِخُيُولِهِمْ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الْمُقَاتِلِينَ الَّذِي كَانَ قَدِ اخْتَلَطَ حَابِلُهُ بِنَابِلِهِ ، يَفِرُّ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَيَغْنَمُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَصَاحُوا مُنَادِينَ بِشِعَارِ حَرْبِهِمْ :

يَا لَلْعُزَّى ، يَا لَهُبَلَ .

وَصَلْصَلَتْ سُيُوفُ الْفُرْسَانِ فَوْقَ رُءُوسِ الْمُسْلِمِينَ اللَّاهِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ ، فَأَخَذَتْهُمُ الْبَغْتَةُ وَأَذْهَلَتْهُمُ الْمُفَاجَأَةُ ، فَتَرَكُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَانْتَضَوْا سُيُوفَهُمْ يُدَافِعُونَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَيَصُدُّونَ بِهَا تِلْكَ الْجُمُوعَ الَّتِي حَاصَرَتْهُمْ ، وَلَكِنْ ... هَيْهَاتَ ! هَيْهَاتَ ! لَقَدْ عَادَ الْجَيْشُ الآفِلُ إِلَى الْقِتَالِ بَعْدَ إِذْ

قَوِيَتْ نَفْسُهُ ، وَانْقَضَّ رِجَالُهُ عَلَى رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ يُطَوِّحُونَ بِهِمْ يَمِينًا وَشِمَالاً ، وَالْمُسْلِمُونَ فِى رَبْكَةٍ لاَ يَعْرِفُونَ مَعَهَا صَاحِبَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، فَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَقَدْ أَنْسَاهُمُ الْهَوْلُ أَنْ يَتَعَارَفُوا بِشِعَارِهِمُ الَّذِى اتَّفَقُوا عَلَيْهِ ، وَدَارَتْ دَائِرَةُ الْحَرْبِ ، وَانْتَكَسَتْ كِفَّتُهَا ، وَاتَّجَهَتْ وِجْهَةً أُخْرَى .

وَنَادَى مُنَادٍ مِنْ بَيْنِ الْمُشْرِكِينَ قَائِلاً : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ! !

وَفَعَلَتْ هذِهِ الْكَلِمَةُ فِى نُفُوسِ كلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِعْلَ السِّحْرِ ، فَانْخَذَلَ لَهَا أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ وَضَعُفَتْ مَعْنَوِيَّتُهُمْ ، وَفَرِحَ لَهَا الْمُشْرِكُونَ ، وَقَوِيَتْ رُوحُهُمْ . ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ جُمُوعُ الْمُحَارِبِينَ أَنْ تَبَعْثَرَتْ وَتَخَلْخَلَتْ ، فَمِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنِ اعْتَزَلَ الْقِتَالَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا إِلَى وَقْفِهِ ، وَلكِنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانُوا لاَ يَزَالُونَ أَقْوِيَاءَ الإِيمَانِ ، فَوَاصَلُوا الْقِتَالَ وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْمُنْخَذِلِينَ مِنْهُمْ :

إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ قَدْ قُتِلَ فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ؟ قَاتِلُوا وَمُوتُوا عَلَى مَامَاتَ عَلَيْهِ . أَوْ يَقُولُونَ : لَقَدْ بَلَّغَ مُحَمَّدٌ رِسَالَةَ رَبِّهِ ، فَقَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ حَىٌّ لاَ يَمُوتُ .

كَانَ مُحَمَّدٌ - حِينَ صَاحَ الصَّائِحُ يُنَادِى أَنَّهُ قُتِلَ - قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ تَعَاهَدُوا عَلَى قَتْلِهِ يَرْجُمُونَهُ بِالأَحْجَارِ ، وَيَرْمُونَهُ بِالنِّبَالِ . وَهُوَ يَرْمِى عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْسِهِ ، وَأَصْحَابُهُ مِمَّنْ كَانُوا حَوْلَهُ يَحْمُونَهُ . وَيَذُودُونَ عَنْهُ . حَتَّى عَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ دُونَهُ . فَلَمَّا رَأَوُا الأَحْجَارَ الَّتِى يُلْقِيهَا الْمُشْرِكُونَ قَدْ أَصَابَتْ مِنَ النَّبِىِّ حَتَّى شُجَّتْ جَبْهَتُهُ . وَشَظِيَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَدَمِيَتْ شَفَتُهُ ، وَدَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنَ الْمِغْفَرِ الَّذِى يَسْتُرُ بِهِ وَجْهَهُ فِى وَجْنَتِهِ - نَشَدُوا النَّجَاةَ بِرَسُولِ اللهِ . فَصَحِبُوهُ مُصْعِدِينَ فِى الْجَبَلِ . وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ الأَوْسِىُّ قَدْ حَفَرَ حُفَرًا كَالْخَنَادِقِ بِأَسْفَلِ الْجَبَلِ كَىْ يَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَزَلِقَتْ رِجْلُ النَّبِىِّ فِى إِحْدَاهَا فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ عَلِىٌّ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، فَأَخَذَا بِيَدِهِ ، وَرَفَعَاهُ ، ثُمَّ وَاصَلُوا جَمِيعًا صُعُودَهُمْ مُتَسَلِّقِينَ أُحُدًا .

وَعَلَى مُرْتَفَعٍ مِنَ الْجَبَلِ تَتَرَّسَ أَصْحَابُ النَّبِىِّ دُونَهُ . وَالْتَفُّوا حَوْلَهُ يَحْمُونَهُ بِأَجْسَادِهِمْ ، وَيَذُودُونَ عَنْهُ بِأَرْوَاحِهِمْ . فَجَعَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ يَرْمِى بِالنَّبْلِ دُونَ الرَّسُولِ ، وَمُحَمَّدٌ يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : ارْمِ . فِدَاكَ

أَبِى وأُمِّى !

وَحِينَمَا نَادَى الْمُنَادِى : قُتِلَ مُحَمَّدٌ . كَانَ الَّذِى قُتِلَ هُوَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ حَامِلُ لِوَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ قَاتِلُهُ ابْنُ قَمِيئَةَ . وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ مُحَمَّدًا ، وَظَفِرَ بِرَسُولِ اللهِ .

وَأَمَرَ مُحَمَّدٌ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ حَوْلَهُ أَنْ يَسْكُتُوا عَلَى هٰذَا الْخَبَرِ وَلاَ يُكَذِّبُوهُ .

وَانْتَشَرَ رِجَالُ قُرَيْشٍ يَبْحَثُونَ بَيْنَ الْقَتْلَى عَنْ جُثَّةِ مُحَمَّدٍ . كُلٌّ يَوَدُّ أَنْ يَعْثُرَ عَلَيْهَا ، وَكُلٌّ يَوَدُّ أَنْ يَكُونَ الْبَادِئَ فِى التَّمْثِيلِ بِهَا . وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ يَتَصَفَّحُ وُجُوهَ الْقَتْلَى ، وَهُوَ يَقُولُ :

مَا نَرَى مَصْرَعَ مُحَمَّدٍ ! !

وَعَثَرَ أَبُو سُفْيَانَ عَلَى جُثَّةِ حَمْزَةَ . فَجَعَلَ يَضْرِبُ فِى شِدْقِ حَمْزَةَ بِزُجِّ الرُّمْحِ وَيَقُولُ : ذُقْ عُقَقْ . أَىْ ذُقْ جَزَاءَ فِعْلِكَ يَا عَاقُّ . وَذُقِ الْقَتْلَ كَمَا قَتَلْتَ مَنْ قَتَلْتَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ !

فَجَاذَبَهُ الْحُلَيْسُ بْنُ زَيَّانَ ، وَاسْتَنْكَرَ مَا يَفْعَلُ . فَقَالَ :

يَا بَنِى كِنَانَةَ ؛ هٰذَا سَيِّدُ قُرَيْشٍ ، يَصْنَعُ بِابْنِ عَمِّهِ مَا تَرَوْنَ ! !

فَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

أُكْتُمْهَا عَنِّى فَإِنَّهَا زَلَّةٌ !

وَالْتَقَى أَبُو سُفْيَانَ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَسَأَلَهُ :

هَلْ تَبَيَّنَ عِنْدَكَ قَتْلُ مُحَمَّدٍ ؟

قَالَ : رَأَيْتُهُ فِى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مُصَعِّدِينَ فِى الْجَبَلِ .

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ زَفَّ بُشْرَى نَجَاةِ مُحَمَّدٍ إِلَى الْمُسْلِمِينَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، جَازَ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ وَأَصْحَابِهِ ، فَعَرَفَهُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَهُمَا تَلْمَعَانِ تَحْتَ الْمِغْفَرِ ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ؛ أَبْشِرُوا ، هٰذَا رَسُولُ اللهِ .

فَأَشَارَ لَهُ الرَّسُولُ لِيَسْكُتَ ، وَلٰكِنَّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَحْيَا هٰذَا النِّدَاءُ فِى قُلُوبِهِمُ الأَمَلَ ، وَبَعَثَ فِى نُفُوسِهِمُ الْحَيَاةَ ، مَا لَبِثُوا أَنِ الْتَفُّوا حَوْلَ الرَّسُولِ ، وَفِى مُقَدِّمَتِهِمْ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ صَحِبُوا النَّبِىَّ حَتَّى عَلَوْا بِهِ الْجَبَلَ خَوْفًا عَلَيْهِ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَقْبَلَتْ نِسَاءُ الْمُسْلِمِينَ ، وَكُنَّ قَدْ خَرَجْنَ يَحْمِلْنَ سِقَاءَ الْمَاءِ لِلْمُحَارِبِينَ ، وَفِى مُقَدِّمَتِهِنَّ فَاطِمَةُ الَّتِى أَقْبَلَتْ عَلَى أَبِيهَا تَبْكِى ، وَتَمْسَحُ لَهُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَتُضَمِّدُ لَهُ جِرَاحَهُ .

وَأَقْبَلَ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَلِمُوا بِنَجَاةِ مُحَمَّدٍ ، يَطْلُبُونَهُ ؛ وَفِى مُقَدِّمَتِهِمْ أُبَىُّ بْنُ خَلَفٍ شَاهِرًا سِلاَحَهُ وَهُوَ يَصِيحُ : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟ لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا .

فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، تَنَاوَلَ مُحَمَّدٌ حَرْبَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فَطَعَنَهُ بِهَا ، فَعَادَ أَدْرَاجَهُ لِيَمُوتَ فِى الطَّرِيقِ .

وَعَلاَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْجَبَلَ يُرِيدُ مُحَمَّدًا فَرَدَّهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ عَلَى أَعْقَابِهِ .

أَمَّا وَحْشِىٌّ قَاتِلُ حَمْزَةَ فَقَدْ ذَهَبَ يُطَالِبُ بِمُكَافَأَتِهِ ، فَأَتَى هِنْد ، فَأَخْبَرَهَا خَبَرَهُ وَقَالَ لَهَا : مَاذَا لِى وَقَدْ قَتَلْتُ حَمْزَةَ ؟

قَالَتْ : لَكَ حُلِيِّى ، دُلَّنِى عَلَى مَكَانِهِ .

فَصَحِبَهَا وَحْشِيٌّ إِلَى حَيْثُ جُثَّةُ حَمْزَةَ ، فَمَا تَمَالَكَتْ حِقْدَهَا ، وَمَرَارَةَ نَفْسِهَا ، فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ تَبْقُرُ بَطْنَهُ ، وَتُخْرِجُ كَبِدَهُ ، تَنْهَشُهُ بِأَسْنَانِهَا تَشَفِّيًا ، وَانْتِقَامًا ، إِلاَّ أَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَسْتَسِيغَهُ فَلَفَظَتْهُ .

وَخَلَعَتْ حُلِيَّهَا فَأَعْطَتْهَا وَحْشِيًّا ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ وَمَعَهَا نِسَاءُ قُرَيْشٍ يُجَدِّعْنَ أُنُوفَ قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ وَآذَانَهُمْ ، وَيَنْظِمْنَ مِنْهَا أَسَاوِرَ وَقَلَائِدَ يَتَحَلَّيْنَ بِهَا .

وَلَمَّا دَفَنَتْ قُرَيْشٌ مَوْتَاهَا ، وَأَزْمَعَتِ الْمَسِيرَ - أَتَى أَبُو سُفْيَانَ إِلَى أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، فَصَاحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَعْلَاهُ وَهُوَ يَكَادُ أَنْ يَسْتَطِيرَ سُرُورًا :

يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ ، وَمَوْعِدُنَا وَإِيَّاكُمْ بَدْرٌ مِنَ الْعَامِ الْقَادِمِ .

ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ : وَإِنَّكُمْ لَوَاجِدُونَ فِى قَتْلَاكُمْ مُثْلَةً ، وَاللهِ مَا رَضِيتُ وَمَا سَخِطْتُ وَمَا نَهَيْتُ وَمَا أَمَرْتُ .

وَنَزَلَ الْمُسْلِمُونَ يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ ، وَوَقَفَ النَّبِىُّ إِلَى حَمْزَةَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُثْلَةِ بِهِ ، وَدُمُوعُهُ تَجْرِى فَتَخَضَّبُ لِحْيَتَهُ ، وَيَقُولُ : مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا أَغْيَظَ إِلَىَّ مِنْ هٰذَا ! !

ثُمَّ يَقُولُ : واللهِ لَئِنْ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ .

فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ، وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) .

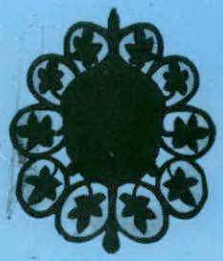

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٣٤٢٠
الترقيم الدولى	ISBN 977 - 02 - 4475 - 9

٧ / ٩٣ / ١٢٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)